# تصحيح إعتقاد المسيحيين بقدسية العهد القديم حتمية منطقية لإنقاذ إيمانِهم بالمسيح عليه السلام

محمد سعد زغلول سالم

الثلاثاء ٧ نوفمبر ٢٠٢٣

لا يعرف أحدٌ على وجه التحديد مَنْ الذى مَّهدَ لإعتبار مصادر العقيدة اليهودية جزءاً لا يتجزأ من مصادر العقيدة المسيحية .. ولا مَنْ الذى سماها بالعهد القديم تمييزاً لها عن العهد الجديد الذى يضم الأناجيل القانونية الأربعة وسفر أعمال الرسل ورسائلهم ورؤيا يوحنا .. ولا من الذى قام بجمع مصادر هاتين العقيدتيْن فى كتابٍ واحد تم تسميته بإسم الكتاب المقدس .. كما لا يعرف أحدٌ أيضاً متى وكيف تَّم هذا التمهيد حتى صارَ الكتاب المقدس لدى المسيحيين هو العهد القديم والعهد الجديد معاً شاملاً أو ناقصاً بعض أو جميع أسفار الأبوكريفا حسب إعتقاد كُلِّ طائفة مسيحية فيه. وإن كان يمكن تفسير نشوء هذا الإرتباط والتوحيد بين مصْدَرَى اليهودية والمسيحية من وجهة نظر إسلامية بأنه نتاج مؤامرةٍ فكرية عقائدية دبرها اليهود للقضاء على المسيحية بغرْس عقيدة التثليث فى جوهَرِها لإدراكِهِم أنَّ أىَّ حيودٍ عن مفهوم وحدانية الإله كفيلٌ بوضع حاجز منطقى لا يمكن تخَّطيه أمامَ العقل الذى يحاول جاهِداً الإيمان بما يخالف هذا المفهوم لوحدانية الألوهية .. وهذا هو ما حَدَث مع الديانات القائمة على تعدُّد الآلهة سواء كانت عقائد التثليث الإلهى كبعض عقائد قدماء المصريين فى فترات متعددة من تاريخهم وعقائد التثليث البابلى وعقائد التثليث الهندوسى وعقائد التثليث الفارسى وعقائد التثليث التى كانت شائعة لدى كثير من الشعوب القديمة فى أنحاءٍ عديدة من الأرض أو عقائد التثنية الإلهية كالعقيدة الإيزيدية والعقيدة الزرادشتية أو عقائد تعدد الآلهة الوثنية .. والذى تسبب الحيود والضلال عن مفهوم الوحدانية فيها فى الإضمِحْلال والإختفاء التدريجى لها لأسبابٍ عديدة يتصدرها عدم توافُقها مع الفطرة الإنسانية السليمة التى جَبَلَ الله عليها البشر والتى ترى التوحيد فى كل مظاهر هذا الكون حتى قبل الإحساس به فى أعماق الروح التى خلَقها الله فيهم .. إضافةً إلى زيادة وإتساع نطاقات الوَعْى والتفكير الإنسانى ونشوء علوم المنطق التى أرْسَت العديدَ من المناهج الفكرية النقدية القائمة على التحليل والمقارنة والتى جعلَت من التفرقة اليقينية بين الخطأ والصواب فى كُلِّ ما يعرض للعقل من قضايا أمراً ميسوراً للعقل الملتزم بمناهج المنطق الصحيح حتى وإن كانت من القضايا المصيرية التى تتعلق بنشوء الإنسان ومغزى وجوده فى هذا الكون ومصيره بعد إنتهاء حياتِه فيه.

فقد رَّوَجَ اليهود لعقيدة أنَّ الناموس الى أشار إليه المسيح عليه السلام بأنه إنما جاء للحفاظ عليه وليس لنقضِه وأنه لا تزول كلمة منه حتى تزول السماء والأرض فى قوله (لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ .. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ .. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ) هو العهدُ القديم لأنه ناموس الإيمان والإعتقاد والتسليم بما يتضمنه من البشارات أو النبوءات أو الإعلانات الإلهية عن ألوهية أو بنوة وميلاد ومكانة وصفات وطبائع وبعض أعمال المسيح عليه السلام .. وهو الإعتقاد الذى آمَن به وشاعَ بين اللاهوتيين المسيحيين الأوائل الذين بدأوا فى النظر فى قدسية الأناجيل والرسائل والمفاضلة بينها فى نهاية القرن الأول الميلادى حتى إتفقوا فى نهاية القرن الرابع الميلادى على جمع مصادرَ العقيدة المسيحية التى تم التوافُق على صحتها وقدسيتها فى كتابٍ واحد أسْموه العهد الجديد وهى التسمية التى أطلقها بولس الرسول فى أحد رسائله (الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس) على نصوص الأناجيل وعلى ما جاء به المسيح عليه السلام من وصايا وشرائع وأحكام. وتلا ذلك جمعُ مصادر العقيدة اليهودية عدا (التلمود) والتى إستغرق كتابتها ما يقارب الخمسة عشر قرناً فى كتابٍ واحد أسْموه العهد القديم ثم تم جمع الكتابيْن معاً فى كتابٍ واحد أسْموه الكتاب المقدس الذى صارَ منذ ذلك الحين مصدر الإعتقاد والإيمان الذى يؤمن بقدسيته الشاملة والكاملة كل المسيحيين المؤمنين به رغم الإختلافات الكبيرة فى محتوياته التى لا يتوافق عليها توافقاً تاماً جميع الطوائف المسيحية حتى الآن.

ويحوى هذا الإعتقاد بقدسية العهد القديم فى معناه ما ينقضُه عَقلاً وينفيه مَنطقاً إذ أنه يطرح سؤالاً لا إجابة له حتى الآن وهو : إذا كان المسيح عليه السلام قد جاءَ للحفاظ على الناموس فما هى الحاجة لمجيئه أصلاً مادام الناموس باقى ومحفوظ فى زمن مجيئِه ؟! وإذا كانت الإجابة بأنه مثلما قال قد جاء لا لينقض بل ليكَمِّلَ ما لم يَرِدْ فى العهد القديم من ركائز جوهر الإيمان المسيحى وهى عقائد الخلاص والصلب والفداء فإن الحفاظَ على هذا الناموس يصبح غيرَ ذى معنى مادام لا يتضمن أياً من ركائز هذا الإيمان بل يُناقضها وينقضُها مِمَّا إسْتَدْعَى ويَسْتَدْعِى من اللاهوتيين المسيحيين اللجوء إلى زَعْمٍ متهافِتْ لا يستند إلى أىِّ أساس فكرى أو عقلى يمكن قبولُه يَّدعى عَدَم فهْم اليهود لمعانى هذه العقائد أو إدراكِهِم لركائز هذا الإيمان الخافيَة عنهم فى كُتُبِهِم المقدسة .. وهو زَعْمٌ لا سبيل لأن يقتنِع به العقلُ المنصف أو يتقبلُه المنطق السليم الذى يحاول النظر فى هذه النبوءات وهذه البشارات وهذه الإعلانات الإلهية فلا يرَى فيها ما يراهُ المؤمنون بها رغم تبيين عدم إنطباقِها على المسيح وعلى مريم العذراء عليهما السلام ورغم تفنيدها وتكذيبها من قِبَلْ المسيحيين الناقدين لها مثلما هو مذكور فى عشرات إنْ لم يكن مئاتٍ من كتاباتهم .. ورغم أنَّ لا أحدَ مِن حاخامات أو عوام اليهود يعترف بمُسَّمى العهد القديم أو بمسمى الكتاب المقدس حيث أنهم يُسَّمون جميعَ أسفارِهِم الشاملة لأسفار التوراة الخمسة والأسفار التاريخية والأسفار الشعرية وأسفار الحكمة وأسفار الأنبياء بإسم (التناخ) الذى يعتبرونه كتابهُم المقدس الذى يحوى مصادر عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم إضافةً إلى (التلمود) الذى يحوى تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة أو (التوراة). ومما يستدعى الإستغراب والتساؤل فى هذا الصَدَدْ أنه لا يوجد كتابٌ واحد لأىِّ من حاخامات اليهود أو من مفسرى التوراة أو التناخ يتناول بالنقد أو التفنيد أو التكذيب كُلَّ ما يعتقده المسيحيون بشأنِ هذه المعانى الخافية للنبوءات والإعلانات الإلهية عن المسيح عليه السلام فى العهد القديم وذلك لعدم إهتمامِهِم بها وعدم أخْذِها على مَحْمَل الجد أو الإعتبار.

كما يحتوى هذا الإعتقاد المسيحى بقدسية العهد القديم على جوانب متناقضة لا تتفق مع إعتبار أنه الناموس الذى أشار إليه المسيح عليه السلام فى بعض أقوالِه أهَّمُها وأخطرُها ما أشار إليه كثيرون من المفكرين واللاهوتيين المسيحيين أنفسهم من أنَّ عقيدة التثليث مهما إختلفت التأويلاتُ والتفسيرات بشأن حقيقتها أو أسرارها أو معانيها

تخالِف وتناقِض الوصية الأولى من الوصايا العشر المذكورة بسفر التثنية من أسفار التوراة التى تؤكد وحدانية الله فى ما تنص عليه من أنَّ (الرب إلهُنا رَبٌّ واحد) بل ورغم أن المسيح عليه السلام نفسه قد أعلن عنها فى إنجيل مرقس فى قوله رداً على مَن سألَه من الكَتَبَة (إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ : إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ .. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِد) .. ومنها مخالفة الإيمان المسيحى للعهد القديم فى ما نصَّ عليه من ضرورة الإختتان ومن تحريم شرب الخمر وتحريم أكل لحم الخنزير وغير ذلك من شرائع لا حَصْرَ لها مذكورة فى أسفار العهد القديم تم التغاضِى عن إتباعِها والإلتزام بها رغم وَعْدِ المسيح عليه السلام بالحفاظ على كُلِّ ماجاء فى الناموس بشأنِها .. ومنها مناقضَة الإيمان المسيحى المتضمِّن لقيم نبيلة سامية تحث على التسامح والوداعَة والتواضُع والمحبة جاءت فى مواضع عديدة بالأناجيل وأن كانت لا تصلح للأخْذ بها فى تعامُل البشر مع بعضهم البعض وأكثرُهُم على ما هُمْ عليه من طباعٍ سيئةٍ خبيثة مثل (مَنْ ضربَك على خدِّك فأعْرِض له الأخَر .. ومن أخذَ رداءك فلا تمنعه ثوبك .. وأحِّبوا أعداءكم وباركوا لاعِنيكُم .. و أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَصَلُّوا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ) مع قيمٍ أخرى تمتلىء بها أسفار (التناخ) بعضُها ضرورى كالعَدْل فى التعامل إزاءَ العدوان بردِّه لرَدْع الإقدام عليه أو تكراره مثلما جاء فى سفر الخروج (وإن حصلت أذية تعطي نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برض) وفى سفر التثنية (لاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ نَفْسٌ بِنَفْسٍ عَيْنٌ بِعَيْنٍ سِنٌّ بِسِنٍّ يَدٌ بِيَدٍ رِجْلٌ بِرِجْل) وبعضُها وحشى وهمجى جاءت فى وصايا وأوامر لا حَصْرَ لها مذكورة فى أسفارٍ عديدة من (التناخ) و (التلمود) تتضمن ما يجب أن يفعله اليهود بأعدائهم من البشر فى الحروب التى تقوم بينهم أو فى إعتداءاتهم على جيرانهم من الشعوب الأخرى بل وعلى القبائل الأخرى من الأسباط أنفسهم مثل ما جاء منها على سبيل المثال فى سفر العدد ﴿وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ﴾ و ﴿فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ﴾ ومثل ما جاء منها فى سفر التثنية ﴿حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ كُلُّ غَنِيمَتِهَا فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا﴾ .. وهى أوامر ووصايا يَسْتحيل أنْ يكون لها مصدرٌ إلهي مثلما يستحيلُ أن يُصدق أىُّ عقلٍ مجبول على الفطرة السليمة أنها صادرة من إلهٍ يأمرُ المؤمنين به من أتباعِه بإرتكاب هذه الجرائم الوحشية تجاه أعدائهم مثلما يستحيلُ أيضاً أنْ تتفق فى وحشيتها وهمجيتها مع ما تتضمنه دعواتُ المسيح عليه السلام إلى أتباعِه من وصايا وأوامِر للإلتزام بالتسامح والوداعَة والتواضُع والمحبة فى التعامل فى ما بينهم وفى التعامل مع الآخرين.

ويكشف التدبُّر المنطقى لكلا العهدين القديم والجديد فى ضوء التناقضات الموجودة بينهما فى جَوْهَر العقيدة القائم كُلٌّ منهما عليها وفى العديد من الشرائع والأحكام التى يقفان منها على طرفىْ نقيض عن الإستحالة المنطقية لأن يكون كلا العهْدَيْن من مصدرٍ إلهى واحد. كما يكشف أيضاً عن أنَّ الناموس المقصود فى أقوال المسيح عليه السلام الذى جاء ليكمله لا لينقضه فى ضوء الإيمان المسيحى هو على الأرجح ركائز الإيمان المسيحى القائم على سلسلة متعاقبة من الإفتراضات بدءاً بخطيئة آدم وحواء وعجز الله عن التوفيق بين عدْلِه الذى يقتضى عقابهما على هذه الخطيئة ورحمته التى تفرضها عليه فيوضُ المحبة لخلقِه مما إستدعى كوسيلةٍ للتوفيق بين ضرورات العدل والرحمة لخلاص البشر تضحية الله بإبنه المتمثل فى المسيح كفداءٍ عنهم بسبب خطيئة أبيهم وأمهم التى ورثوها بغير ذنبٍ أو جريرة وذلك بصَلْبه وتعذيبه وموته ثم قيامته. فهذه الإفتراضات العقائدية التى تتمَحْوَر حول عقائد الخطيئة والخلاص والفداء والصلب والقيامة من وجهة النظر المسيحية ـ والتى لا تتفق لا فى مجموعِها أو فى أىٍ من تفصيلاتِها مع وجهة النظر الإسلامية بشأنِها ولا مع وجهة النظر اليهودية فيها ـ هى على الأرجَحْ الناموس الذى كان يقصُدُه المسيح للكشف عن طبيعته الإلهية ومنشؤه الإلهى ولإيضاح أسباب إرسالِه من الآب ولتبيين الطريق إلى مملكة السماء لأتباعِه الذين سيؤمنون به .. وهى الجوانب التى لم يُشِرْ إليها أو يتعرض لها العهدُ القديم بسبب خفائِها عن فهم وإدراك اليهود لكتابهم المقدس حسب تفسيرات اللاهوتيين المسيحيين مما إستوجَبَ إرسال المسيح لتوضيحها وكشفها وإكمالِها فى العهد الجديد.

وهكذا يتبين مما سبق أنَّ التمهيد للإعتقاد والإيمان بقدسية العهد القديم وإعتباره كالعهد الجديد جزءاً لا يتجزأ من الكتاب المقدس يمثل من وجهة النظر الإسلامية ذروة إكتمال المؤامرة اليهودية على العقيدة المسيحية. وقد تم هذا التوحيد بين العهْدَيْن رغم الحقائق التاريخية التى تكشف عن الإعْتِساف الذى رافَقَ مراحلَ هذا الجَمْع بين كتب العهدين ورغم الحَتميات المنطقية التى تكشف عن إستحالَة هذا الجمع بينهما فى ضوء التناقضات العقائدية الجوهرية بينهما وفى ضوء الإختلافات التشريعية التى تتضمنها العديد من الوصايا والأحكام فى أسفار العهد القديم. فهذه الوصايا تعكس فى نواحى عديدةٍ منها سلوكاً بشرياً غايةً فى القسوة والوحشية والهمجية يصدم الفطرة الإنسانية ويستحيلُ أنْ يقبَلَ العقلُ أو المنطق أو الضميرُ تبريرَه أو الدفاع عنه. كما أنه مِنَ المُحال أن تتوافق هذه الوصايا معَ وصايا وأحكام العهد الجديد المليئة بقيمٍ سامِيَة يعْكِسُ الإلتزامُ بها سلوكاً بشرياً يفيضُ بالتسامح والوداعَة والتواضُع والمحبة والرغبة فى مساعدة الغَيْر وغيرها من الصفات الإنسانية التى تثيرُ فى النفس وفى العقل وفى الضمير تساؤلاً حزيناً لا إجابة شافية عليه حتى الآن عَمَّا عساهُ يكون مصدر وصايا وأحكام هذه الوحشية والقسوة والفظاظة والهمجية التى تطفح بها أسفارُ العهد القديم لإستحالة أن يكونَ الله هو مَنْ أوحى بها إلى أنبياء العهد القديم الذين ضَّمنوها فى نبوءاتهم .. وتساؤلاً منطقياً آخر عَمَّا عساهُ يكون السبب فى إستمرار إعتقاد المسيحية فى قدسية العهد القديم وفى إستمرار إعتباره جزءاً لا يتجزأ من الكتاب المقدس رغم كل التناقضات العقائدية والتشريعية بينه وبين العهد الجديد ورغم كُلِّ ما يفيضُ به من قسوةٍ ووحشية وفظاظةٍ وهمجية تُشَوِّه الوجه الإنسانى والأخلاقى للمسيحية الذى يراه المسيحيون وغير المسيحيين فى شخص المسيح عليه السلام ؟!.